المبحث الثاني

دور الوقف في الناحية التعليمية والتثقيفية

كان للوقف دور كبير في نشر التعليم في الدول الإسلامية، وذلك بتشييد صروح العلم والثقافة، وتأمين الظروف المناسبة للفقهاء والعلماء والأدباء في محراب التأليف والنشر، والتحقيق العلمى والفقهى والأدبى.

وقام الوقف بذلك الدور من خلال مؤسسات عديدة من أهمها: الكتاتيب والمدارس والمكتبات العامة.

أولاً: الكتاتيب[١]:

الكتاب أو المكتب هو المكان الذى كان يُعنى بتعليم المبتدئين، القراءة والكتابة، والقرآن الكريم، ومبادىء علوم الدين.

ولما كان تعليم الأولاد يعد أمراً شرعياً، وواجباً دينياً تقع مسؤولية القيام به على عاتق الآباء، تولى أولياء الأمور والمحسنون من المسلمين، أمر إنشاء الكتاتيب لتعليم الناشئة والإنفاق عليهم. وشارك في هذا الفضل المعلمون الذين كانوا يقومون بمهمة التدريس إحتساباً، وخاصة في العهد الأول للإسلام.

وفى العصر الأموى ظهرت الكتاتيب الخاصة في القصور لأبناء الخلفاء،

---

(١) المراجع السابقة.

والوجهاء، والموسرين، واستقدم المعلمون لتعليمهم. وقام المحسنون بإنشاء كتاتيب عامة لليتامى، وأبناء الفقراء والمساكين، ووقفوها عليهم.

وقد انتشرت الكتاتيب العامة الموقوفة عبر العصور المختلفة في كل أنحاء العالم الإسلامى. وكانت من الكثرة بحيث عدّ ابن حوقل ثلاثمائة كتاب في مدينة واحدة من مدن صقلية، وكانت من الإتساع أحياناً بحيث يضم الكتاب الواحد مئات وآلافاً من الطلاب[١].

وفى الشام أقيمت عدة كتاتيب موقوفة لتعليم أبناء العامة والفقراء حول الجامع الأموى بدمشق.

وفى القاهرة وجد الرحالة ابن جبير - في القرن السادس الهجرى - عدداً كبيراً من الكتاتيب التى وقفت على الأيتام، في أمكنة متفرقة من البلاد المصرية، وكانوا يسمونها «كتاب سبيل».

وفى عهد المماليك، يذكر المقريزى، أنه صدر توجيه من الدولة يلزم كل من يؤسس مدرسة للعلوم الشرعية، أن يقيم بجانبها كتاباً للأيتام، والفقراء والمساكين. وقد أنشئت هذه الكتاتيب ووقفت، وكان تلاميذها يتلقون الإعاشة والتعليم الذى يمول عن طريق الأوقاف.

وفى العهد العثمانى استمر وقف الكتاتيب ودعمها لتعليم اليتامى، وأبناء الفقراء والمساكين فانتشرت في كل مكان.

وظلت الكتاتيب تقوم بدورها في نشر المبادىء الأولى للتعليم، ومحو أمية قطاعات كبيرة من النشىء في مختلف أنحاء العالم الإسلامى، وعلى مر العصور، إلى أن جاء القرن التاسع عشر الميلادى واحتلال بعض الدول

---

(١) من روائع حضارتنا - ص٢٠٦.

الغربية للعديد من الأقطار الإسلامية، وإنتشار الإرساليات التبشيرية والجاليات الأجنبية في بعض الدول الإسلامية، وقيامها بإنشاء المدارس والمراكز التعليمية[١].

هذا وقد كان بمكة المكرمة والمدينة المنورة عدد كبير من الكتاتيب قبل قيام المملكة العربية السعودية، وعندما نظمت الدولة شؤون التعليم في عهد الملك عبد العزيز - رحمه الله - وأنشأت المدارس المجانية لجميع فئات المواطنين، تم الاستغناء عن هذه الكتاتيب[٢].

ثانياً: المدارس:

ظهرت المدارس المستقلة والمنفصلة عن المساجد، وحلقاتها العلمية، نتيجة للنمو الطبيعى لما سبقها من مؤسسات علمية، ولمواكبة مطالب العصر، وبصفة رئيسة للوقوف في وجه التيارات الفكرية، والعقدية المنحرفة، وكانت المدارس عبارة عن مؤسسات تعليمية مستقلة، أختير للتدريس فيها العلماء الأكفاء، وطلابها متفرغون، ووقفت لهم المصروفات والإعاشة، والإنفاق، فضلاً عن الدراسة والعلاج[٣].

وقد شارك في هذه الأنماط الوقفية قطاع عريض من المجتمع: خلفاء، وسلاطين، وأمراء، وأثرياء، وعلماء، وبعض من عامة الناس. والمتتبع للتاريخ الإسلامي يدرك مدى الاهتمام والعناية بإنشاء المدارس الوقفية التى انتشرت في أرجاء العالم الإسلامي، إذ كان التسابق نحو إنشائها وإقامتها

---

(١) الأوقاف والسياسة - ص١٧١ (بتصرف).
(٢) الأوقاف فى المملكة العربية السعودية، ص٨٧ (بتصرف).
(٣) المرجع السابق.

ظاهرة واضحة للعيان، حتى أن القرى النائية لم تخلو منها، فضلاً عن المدن الكبيرة التى كانت تعج بالمدارس المتنوعة مثل: دور القرآن والحديث، ومدارس المذاهب الفقهية، ومدارس الطب، والمدارس الكبيرة الشاملة[١].

«ولم تكن المدارس مجرد أبنية تقام، أو مجموعة من الطلاب يتلقون العلوم فيها على مدرسين في زمان ومكان محددين، بل كان أكثرها في شكل مؤسسات علمية راقية، لها نظمها الخاصة التى تسير عليها، وتقاليدها التى ترعاها، ومواردها المالية التى تعتمد عليها في أداء رسالتها»[٢].

وقد كانت هذه المدارس تعتمد على الأوقاف من حيث الإنشاء والإنفاق عليها، وكان التعليم فيها مجانياً ولمختلف الطبقات، فلم يكن يدفع الطلاب في دراستهم أية رسوم، ولم يكن التعليم فيها محصوراً بفئة من أبناء الشعب دون فئة. وكانت الدراسة فيها قسمين: قسم داخلى للغرباء والذين لا تساعدهم أحوالهم المادية على أن يعيشوا على نفقات آبائهم، وقسم خارجى لمن يريد أن يرجع في المساء إلى بيت أهله وذويه[٣].

وكان من أشهر المدارس في التاريخ الإسلامى، المدارس النظامية وهى التى أنشئت عندما فتح السلاجقة الأتراك خراسان في أواخر القرن الرابع الهجرى، فأراد الوزير الأول «نظام الملك» أن يعد شباباً مسلحاً بالعلم، على عقيدة أهل السنة، لتولى مناصب الدولة، خاصة في مجالات التدريس والقضاء والافتاء في تلك البلاد. فأنشئت المدرسة النظامية في بغداد عام ٤٥٩هـ، وقد نجحت الفكرة وتحققت أهدافها، وأقام الوزير نظام الملك

---

(١) الوقف وبنية المكتبة العربية - ص١٦ (بتصرف).
(٢) المرجع السابق، ص١٧.
(٣) من روائع حضارتنا، ص٢٠٦، ٢٠٧ (بتصرف).

الوقف عليها وعلى أساتذتها وطلابها[١].

وانتقلت فكرة المدارس النظامية إلى الشام، حيث أنشأ حاكمها نور الدين زنكى مدارس مشابهة للمدارس النظامية، وسميت «المدارس النورية» وكان ينفق عليها من الأوقاف التى خصصت لها. ثم سار على نهجه صلاح الدين الأيوبى بالشام وبمصر، فوقف المدارس الكثيرة، وترَّسم خطاه الحكام والولاة والأمراء، وأصحاب الجاه، ووقفوا أموالهم على إنشاء المدارس والمؤسسات الخيرية الأخرى[٢].

ومن أشهر المدارس الوقفية في الدول الإسلامية:

١ - المدرسة الظاهرية التى أنشأها الظاهر بيبرس في القاهرة سنة ٦٢٦هـ، وأوقف عليها المال وأغدق عليها، مما جعلها أجمل مدرسة في مصر.

٢ - المدرسة الصالحية بمصر، وقد أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤١هـ، وأوقف عليها أوقافاً ضخمة.

٣ - المدرسة المسعودية ببغداد، بناها مسعود الشافعى، وجعلها وقفاً على المذاهب الأربعة بجانب تدريس العلوم والطب.

٤ - المدرسة الصلاحية بحلب، أوقفها الأمير صلاح الدين يوسف الدوادار.

٥ - المدرسة الغياثية أو مدرسة الملك المنصور بمكة المكرمة، بناها المنصور غياث الدين سنة ٨١٣هـ، وأوقف عليها أموالاً كثيرة.

٦ - المدارس الأربعة بمكة المكرمة التى بناها السلطان سليمان القانوني

---

(١) المرجع السابق، والأوقاف فى المملكة العربية السعودية، ص٨٧.

(٢) المراجع السابقة.

سنة ٩٢٧هـ، وأوقف عليها أموالاً طائلة لتدريس المذاهب الأربعة.

وهناك مدارس وقفية عديدة يصعب حصرها مثل: المدرسة المستنصرية في بغداد، ومدرسة السلطان حسن، والجامع الأزهر بمصر، والزيتونة في تونس، والقرويين في فاس بالمغرب وغيرها كثير.

وقد كثرت المدارس الوقفية وخاصة في المشرق كثرة هائلة، حتى أن ابن جبير الرحالة الأندلسي هاله ما رأى في المشرق من كثرة المدارس والغلات الوافرة التى تغله أوقافها، فدعا المغاربة أن يرحلوا للمشرق لتلقى العلم[1].

ومن ذلك يتضح أن الأموال الموقوفة كانت أحد الأسباب والعوامل المهمة في تنشيط الحركة العلمية، ونشر التعليم، والارتفاع بالمستوى الثقافي، ومكافحة الأمية، وبناء الحضارة الإنسانية الإسلامية، وقد تربى في أحضان المدارس الموقوفة الكثير من الفقهاء والمفكرين، والأدباء، والوعاظ، والمصلحين الاجتماعيين. وكانت الأوقاف معينا لهم، ومدداً في وقت عزفيه المال عندهم، وفى ظروف عصيبة من التاريخ كثرت فيها الفتن التى كان يموج بها العالم الإسلامي.

ومن أشهر العلماء الذين تخرجوا في المدارس الوقفية: سعد الجبريلى، وأبو الثنا بن أبى السعادات، والخوارزمى، وجابر بن حيان، والرازى، وغيرهم.

ثالثاً: المكتبات:

المكتبات من أقوى وسائل نشر العلم، ولأهمية الكتب لطلاب العلم

---

(١) من روائع حضارتنا - ص٢١٤.

والعلماء من جهة، ولارتفاع أسعارها من ناحية أخرى، قام المحسنون ومحبو العلم والمقتدرون، بإنشاء المكتبات الوقفية وفتحها أمام طلاب العلم، ووقفوا عليها الأموال الوفيرة تقرباً إلى الله تعالى، وسعياً إلى التقدم العلمى في مجتمعاتهم.

وقد عُرفت هذه المكتبات بأسماء عديدة، مثل: خزانة الكتب، وبيت الحكمة، ودار العلم، ودار الكتب. وبعضها كان يقام في المساجد والمدارس والمشافى، وكلها تماثل ما يعرف اليوم بالمكتبات المركزية أو المكتبات العامة - وكلها كانت موقوفة[١].

فإلى جانب التوظيف الاجتماعى للأوقاف في إنشاء المؤسسات التعليمية وتمويلها وإدارتها - كما سبق أن أوضحنا - اهتم مؤسسو الأوقاف أيضاً بتوظيفها من أجل إتاحة الثقافة العامة لأكبر عدد ممكن من عموم الناس، وذلك بإنشاء المكتبات العامة. ومما لا شك فيه أن وقف الكتب والمكتبات للمنفعة العامة هو من الممارسات الاجتماعية - الثقافية للأوقاف ذات التاريخ العريق، وقد استمرت هذه الممارسة في كثير من البلدان العربية والإسلامية حتى يومنا هذا. وفضلاً عن أهمية «المكتبة العامة» باعتبارها مؤسسة لها وظائفها المتنوعة في مجال بث الثقافة، وتيسير المعرفة لعموم الناس، والمحافظة على كتب التراث ومخطوطاته، فإنها تعتبر - في حد ذاتها - معلماً من معالم الرقى الحضارى للأمة[٢].

«وقد انتشرت خزائن الكتب الوقفية في أرجاء العالم الإسلامى منذ القرن الرابع الهجري، لدرجة أننا قلما نجد مدينة تخلو من كتب موقوفة، وأصبحت

---

(١) الأوقاف فى المملكة العربية السعودية، ص٨٨ (بتصرف).
(٢) الأوقاف والسياسة، ص٢٣٧ - ٢٣٩ (بتصرف).

هذه المكتبات بما فيها من كتب قبلة لطلاب العلم، تعينهم على التزود بكل جديد، وتوفر لهم فرص مواكبة الأفكار والآراء المدونة لمؤلفين من أصقاع العالم الإسلامي»[١].

وقد تنوع الوقف في هذا المجال «فشمل وقف مكتبات بأكملها، ووقف الكتب على المدارس والمساجد والمشافي والرُبط والخانقهات، كما كان هناك نوع من الوقف يتمثل في وقف كتب عالم بعد وفاته على أهل العلم أو على ورثته، واهتم واقفو المكتبات المستقلة أو تلك التى تكون في مدارس أو مساجد بتوفير دخل مادى ثابت لها لصيانتها وترميمها، وتحمل التكاليف المادية للعاملين فيها، وعين بعضه ريعاً يساعد على نماء المجموعة وإزدهارها عبر السنين»[٢].

أما الأبنية الخاصة بالمكتبات، فقد كانت تشتمل على حجرات متعددة تربط بينها أروقة فسيحة، وكانت الكتب توضع على رفوف مثبتة بالجدران، تخصص كل غرفة لفرع من فروع العلم، وكان فيها أروقة خاصة للمطالعين، وغرف خاصة للنساخ الذين ينسخون الكتب، وغرف لحلقات الدراسة والنقاش العلمى بين رواد تلك المكتبات. وكانت جميعها تؤثث تأثيثاً فخماً ومريحاً، وكان في بعضها غرف لطعام روادها، وغرف لمبيت الغرباء منهم[٣].

ومن أشهر المكتبات الوقفية العامة في التاريخ الإسلامى:

---

(١) الوقف وبنية المكتبة العربية، ص٣٣.
(٢) المرجع السابق، ص٣٣.
(٣) من روائع حضارتنا، ص٢٤٨، ٢٤٩ (بتصرف).

١ - دار العلم في الموصل:

وتعتبر هذه الدار أول مكتبة وقفية في الإسلام، وقد أنشأها أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلى - الفقيه الشافعى - في أوائل القرن الرابع الهجري. وكانت تضم عدداً كبيراً من الكتب في معارف شتى، نظراً لتنوع اهتمامات ابن حمدان نفسه، الذى كان مهتماً بالفقه والشعر والأدب والتاريخ والنجوم[١].

٢ - دار العلم في بغداد:

هذه الدار هى مكتبة عامة، قام بوقفها الوزير سابور بن أردشير في سنة ٣٨١هـ، وجعل فيها كتباً كثيرة، ووقف عليها غلة كبيرة، وكانت في منطقة بين السورين في بغداد.

وقال عنها ابن الجوزى - في معرض التعريف بسابور:

«وابتاع داراً بين السورين في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وحمل إليها كتب العلم من كل فن وسماها دار العلم، وكان فيها أكثر من عشرة آلاف مجلد، ووقف عليها الوقوف، وبقيت سبعين سنة»[٢].

٣ - دار الحكمة في القاهرة:

وقد أعقب إنشاء دار العلم في بغداد بسنوات افتتاح مكتبة وقفية على درجة كبيرة من الأهمية في تاريخ المكتبات في الإسلام، ألا وهى دار الحكمة بالقاهرة، والتى قام بتأسيسها الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله سنة

---

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموى ٧/ ١٩٢.

(٢) المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم - لأبى الفرج عبد الرحمن بن على ابن الجوزى - دائرة المعارف العثمانية - حيدر أباد الدكن - ١٣٥٩هـ، ٨/ ٢٢.

٣٩٥هـ. وحُملت الكتب إليها من خزائن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله من سائر العلوم والآداب.

وحرصاً على توفير موارد مالية كافية تعين على استمرارها في أداء رسالتها العلمية، قام بوقف دور وحوانيت بُنيت ليستغل ريعها في الصرف على هذه المكتبة.

وقال عنها المقريزى:

«وكانت من عجائب الدنيا، ويقال أنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التى كانت بالقاهرة في القصر، ومن عجائبها أنه كان فيها ألف ومائتا نسخة من تاريخ الطبرى إلى غير ذلك، ويقال أنها كانت تشتمل على أكثر من ستمائة ألف كتاب، وكان فيها من الخطوط المنسوبة أشياء كثيرة..»[١].

ومما لا شك فيه أن دار الحكمة بالقاهرة كانت «تعتبر أبرز نموذج للمكتبات الوقفية التى شيدت منذ البدء في هذا النظام، وأعطت ثماراً جناها أهل العلم من مختلف الطبقات، ولم يستغن عن استخدامها العلماء والطلاب، وكافة أفراد المجتمع لغناها ووفرة ما بها من كتب»[٢].

٤ - خزانة المالكية في مكة المكرمة:

في عام ٥٨٨هـ، وقف محمد بن عبد الله بن الفتوح بن محمد المكناسى إمام المالكية بالحرم الشريف: نسخة من «المقرب» لابن زمنين المالكى بست

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار - لتقى الدين أحمد بن على المقريزى، دار صادر بيروت ١/ ٤٠٩.

(٢) الوقف وبنية المكتبة العربية، ص٤٤.

مجلدات على المالكية والشافعية والحنفية الذين يكونون بمكة، وجعل مقره خزانة المالكية بمكة المكرمة. وكانت هذه الخزانة تزود بين فترة وأخرى بكتب يوقفها علماء وأشخاص من المالكية.

٥ - الخزانة العلمية الصبيحية بسلا:

ولا يخلو العصر الذى نعيش فيه من أنموذج تراثى مثيل لما درج عليه الأسلاف، فقد حبس باشا سلا الحاج محمد بن الحاج الطيب الصبيحى خزانته العلمية في الرابع عشر من ربيع الأول عام ١٣٧٨هـ، لتكون وقفاً على العلماء وطلبة العلم، وعامة القراء، وكانت تشتمل على أربعة آلاف كتاب مخطوط ومطبوع.

وواصل ابنه المهندس عبد الله المسيرة، فوقف على هذه المكتبة بناية جديدة في شعبان من عام ١٣٩٦هـ، تتكون من طابقين، تقع في ساحة الشهداء بمدينة سلا من المغرب لتكون مقراً للكتب التى وقفها والده[١].

وهناك مكتبات وقفية شهيرة أيضاً مثل: خزانة الكتب في حلب، ودار العلم في طرابلس الشام، ومكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة بالمدينة المنورة، وخزانة كتب الهمذانى في همذان وغيرها كثير.

«وكانت هذه المكتبات بكتبها الوقفية، بالإضافة إلى المكتبات الخاصة مثل مكتبات الخلفاء والأمراء والوزراء والعلماء، وراء حركة الازدهار الفكرى والثقافى التى شهدها العالم الإسلامى على مدى قرون طويلة»[٢].

---

(١) المرجع السابق، ص٥٥ (بتصرف).
(٢) المرجع السابق، ص٣٤

* أثر الوقف في استقلال العلماء والقضاة:

إن الولاء في الإسلام هو لله أولاً، وهذه من أساسيات العقيدة، لذا فإن رجال العلم سواء أكانوا من علماء الشريعة وفقهائها، أم من علماء العلوم الطبيعية وغيرها من العلوم الدنيوية، كلهم يشعرون بالاستقلال والنهوض بما يجب عليهم من نصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

ونجد أن العلماء بصورة عامة قد اجتهدوا في بذل العلم، كما فعل الإمام أبو حنيفة وتلميذه محمد بن الحسن الشيبانى وأبو يوسف، والإمام مالك، والإمام الشافعى، وكذلك الإمام أحمد بن حنبل وغيرهم.

فقد بقى العلماء مستقلين عن السلطة، غير خاضعين لها، معتمدين على الأموال الموقوفة التى تغدق عليهم.

كما بقى القضاة قائمين بالحق يحكمون بالعدل، وذلك لاعتماد هؤلاء القضاة على ما كانوا يديرونه من الأموال الموقوفة التى أعطتهم الاستقلال المادى والفكرى.

وأسوق هنا ما كتبه الشيخ/ محمد أبو زهرة - رحمه الله - في كتابه محاضرات في الوقف[1]:

اضطر الظاهر بيبرس لفرض الضرائب بسبب الحروب مع التتار، وسلك سبيلاً في الاستيلاء على الأراضى، ومن بينها أراضى الوقف، وعارضه الإمام النووى حتى ترك هذا الأمر، ولكنه حاول فرض ضرائب كثيرة ترهق الناس والأوقاف، وعارضه الإمام النووى، وكانت النوازع في واقع الأمر بين سطوة السلطان وقوة العلم.

---

(١) ص١٩ - ٢٢ (بتصرف).

فالسلطان يحتج - لفرض الضرائب - بضيق الحال وقلة المال، والشيخ يحتج بفقر الرعية وضيق الأمر عليها، ويقول في إحدى رسائله:

«إن أهل الشام في هذه السنة في ضيق وضعف حال بسبب قلة الأمطار، وغلاء الأسعار، وقلة الغلات والنبات، وهلاك المواشى، وأنتم تعلمون أنه تجب الشفقة على الرعية ونصيحته (أى ولى الأمر) في مصلحته ومصلحتهم». والعلماء كانوا من وراء الإمام النووى يؤازرونه ويؤيدونه، وقد رد السلطان هذه النصيحة رداً عنيفاً، وعيرهم بموقفهم يوم كانت البلاد تحت سنابك الخيل في عهد التتار، وسكوتهم على الذل، وأنهم كان الأولى بهم أن يهبوا لمقاومتهم أو مناقشتهم.

فقال الشيخ النووى: وأما ما ذكر من كوننا لم ننكر على الكفار كيف كانوا في البلاد، فكيف يقاس ملوك الإسلام وأهل الإيمان وأهل القرآن بطغاة الكفار، وأما أنا في نفسى فلا يضرنى التهديد، ولا يمنعنى ذلك من نصيحة السلطان، فإنى أعتقد أن هذا واجب عليّ وعلى غيرى، وما ترتب على الواجب فهو خير وزيادة عند الله. وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد، وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن نقول الحق حيثما كنا، وألا نخاف في الله لومة لائم، ونحن نحب السلطان في كل الأحوال وما ينفعه في آخرته ودنياه.

إلا أن السلطان لم ينتصح واتجه إلى العلماء، وجمع فتاويهم في تأييد فرض الضرائب، ولكن الإمام النووى - رحمه الله - ندد باكراه العلماء على الفتوى، وقد أحضره الظاهر في مجلسه بدمشق ليكرهه كما أكره غيره. فقال له النووى:

«أنا أعرف أنك كنت في الرق للأمير بندقدار، وليس لك مال، ثم من الله عليك وجعلك ملكاً، وسمعت أن عندك ألف مملوك وكل مملوك له حياصة من ذهب (الثياب الموشاة بالذهب الخالص)، وعندك مائة جارية، لكل جارية حق من الحلى، فإن أنفقت

ذلك كله، وبقيت المماليك بالبنود الصوف بدلاً من الحوائص، وبقيت الجوارى بثيابهن دون الحلى، أفتيتك بأخذ المال من الرعية». فغضب الظاهر وقال للنووى: أخرج من بلدى (دمشق) فقال الشيخ: السمع والطاعة.

وخرج إلى نوى بالشام: فقال العلماء: هذا من كبار علمائنا وصلحائنا، وممن يقتدى بهم فأعده إلى الشام، فرسم السلطان برجوعه، فامتنع الشيخ وقال: لا أدخل والظاهر بها. فمات الظاهر بعد شهر[١].

وبذلك استطاع العلماء أن يقفوا مع الحق، وأن يقفوا مع أحكام الشريعة، وأن يجبروا السلطان للخضوع لشرع الله، كما فعل العز بن عبد السلام في أحكامه ضد السلاطين، وكما فعل الإمام البلقينى ضد المماليك، وكما فعل أبو حنيفة مع الخليفة المنصور عند اجتماعه بالفقهاء.

وبقيت الهيمنة والظهور لشرع الله حتى في عصور إنحسار قوة المسلمين، وقد كانت إدارات المعاهد العلمية وتنظيم أمورها تعتمد على القائمين عليها، إذ كان جلهم من أئمة المسلمين وأكفأ علمائهم، وقادة مجتمعهم، وكانت الوقفيات تجعلهم مخولين بسلطات تسمح لهم بتنظيمها وإدارتها كما يشاؤون، ولم يحدوهم أو يحدد أعمالهم إلا ما اشترطه الواقفون طالما التزموا بنظام الشريعة العام[٢].

---

(١) تراجع هذه المكاتبات في حسن المحاضرة جـ٢، ص٦٧ - ٧١

(٢) وقائع الحلقة الدراسية لتثمير ممتلكات الوقف التى عقدت في جدة ١٤٠٤هـ - د.حسن الأمين، ص٢٤٦